



2011-02-04 📅

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلكم جنتك في عبادك الصالحين.

الإله العظيم يطمئن المؤمنين ويتوعدهم بالسلامة والسعادة :

أيها الإخوة الكرام، مع الدرس الثامن والثلاثين من دروس سورة التوبة، ومع الآية الواحدة والخمسين وهي قوله تعالى: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (51)﴾

[سورة التوبة]

أيها الإخوة، صدقوا ولا أبالغ أن في القرآن الكريم آيات، لو لم يكن في القرآن الكريم إلا هذه الآيات لكفت، هذه الآية وهي كلام خالق السموات والأرض، كلام رب العالمين، كلام من بيده كل شيء، بيده رزقك، بيده سلامتك، بيده صحتك، بيده أهلك، بيده أو لادك، بيده من حولك، بيده من فوقك، بيده من دونك، بيده أجهزتك، هذا الإله العظيم يطمئن المؤمنين، يقول للنبي -عليه الصلاة والسلام- أن قل لهم: ﴿لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ فرق كبير كبير بين أن نقول: ﴿إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ لنا لها معنى، وعلينا لها معنى آخر، يغلب على لنا الخير فقط ﴿لَنْ يُصِيبَنَا﴾ في المستقبل إلا الخير في كل شيء، والدليل:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (30)﴾

[سورة فصلت]

في المستقبل: ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ على الماضي، إذا مرت معك هذه الآية اعلم علم اليقين أنها تغطي الماضي والمستقبل، تغطي الوقت كله ﴿لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا﴾ بالمستقبل ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ على الماضي.

لذلك سيدنا النبي -عليه الصلاة والسلام- أرفد سيدنا معاذ بن جبل وراءه:

((أتدري ما حَقُّ الله على العباد؟ فقلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإن حَقَّهُ عليهم: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، قال: فتدري ما حَقُّهم على الله إذا فعلوا ذلك؟ قلت: الله

ورسوله أعلم قال: إن لا يعذبهم.))

[خرجه البخاري ومسلم والترمذي عن معاذ بن جبل]

هل تدري وأنت تسلك طريق الإيمان، وأنت تخاف من الواحد الديان، وأنت تتقصى رضاء الله -عز وجل-، وأنت تخاف أن تعصيه، هل تدري أنك ضمنت السلامة والسعادة والاستمرار؟ الاستمرار في الآخرة، والسلامة في الدنيا، والسعادة في الدنيا.

من يصطح مع الله عز وجل لن يصيبه إلا الخير :

﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا﴾ لن عند علماء العربية تفيد تأييد النفي، أي إلى الأبد لن يصيبنا إلا الخير. **﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾** من خير، فأنت حينما تختار أن تصطلح مع الله، وقد قيل: "إذا رجع العبد العاصي إلى الله نادى مناد في السماوات والأرض أن هنيئاً فإلناً فقد اصطاح مع الله". والله أيها الإخوة، لا أرى أن كلمة هنيئاً تصح إلا إذا عرفت الله، إلا إذا أطعته، إلا إذا ابتغيت رضوانه. أيها الإخوة، هذه الآية من الآيات التي تملأ قلب المؤمن أمناً وطمانينة، وتملأ قلب المؤمن ثقة بالله - عز وجل -، وثقة بالمستقبل: **﴿لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾**.

آيات من القرآن الكريم تبين الفرق بين المسلم والكافر :

إليكم بعض الآيات الداعمة:

﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ (18) ﴾

[سورة السجدة]

﴿ أَفَتَجْعَلُ الْمُتْسَلِّمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (35) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (36) ﴾

[سورة النجم]

﴿ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (61) ﴾

[سورة القصص]

نعمة الأمن من أدق خصائص الإيمان :

أيها الإخوة، أنا لا أتمنى أن مؤمناً مستقيماً، يسعى إلى مرضاة الله، حريص على طاعته، يخشى أن يعصيه، يتقرب إليه، أن هذا المؤمن يأتي إلى قلبه خوف، من أدق خصائص الإيمان نعمة الأمن، والآية:

﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (81) الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ (82) ﴾

[سورة الأنعام]

فهل تصدقون أن الله - سبحانه وتعالى - أنشأ لك حقاً عليه؟ والله مرة في كتاب الجامع الصغير وهو كتاب أحاديث، إلا أن هذا الكتاب رُتّب ترتيباً هجائياً، مثلاً حق الأخ على أخيه، حق الزوج على زوجته، حق الزوجة على زوجها، حق المسلم على المسلم، كلمة حق مع بعضهم كلهم، على أول كلمة بالحديث، وعلى الأبجدية، الحاء بعدها القاف، هناك حديث واحد تقرؤه يقشعر جلدك، وهذا الحديث خاص بالشباب، حق المسلم على الله، أن يعينه إذا طلب العفاف، شاب في ريعان الشباب، وشهوته في أوجها، ويخاف من الله، وضبط نفسه، غض بصره عن محاسن النساء، والنساء مبذولات في الطريق، كل ما عند المرأة من مفاتن ظاهرة في الطريق، فإذا غض بصره، وابتغى رضوان الله - عز وجل - له مكافأة كبيرة، ما هذه المكافأة؟ المكافأة من جنس العمل، هو غض بصره عن امرأة لا تحل له، أنا أرى ولا أتألى على الله أن حق هذا الشاب على الله أن يبرقه امرأة تسره إن نظر إليها، وتحفظه إذا غاب عنها، وتطيعه إن أمرها.

((إنك لن تدع شيئاً لله عز وجل إلا أبدلك الله به ما هو خير لك منه.))

[رواه الإمام أحمد]

من كان مع الله كان الله معه :

تعليقي: **﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾** أنت مع من؟ مع جهة بشرية؟ يكون لك قريب بأعلى منصب، تطلب منه شيئاً يعتذر، هذه فوق صلاحياتي، أو يبدك ثم يخلف، لم يتمكن من تنفيذها، أنت مع من؟ أنت مع الله، مع خالق الكون، مع من بيده كل شيء، مع من بيده إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، أنت معه؟ لذلك قالوا: المعية معيتان، معية عامة، ومعية خاصة، المعية العامة:

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (4) ﴾

[سورة الحديد]

هذه المعية العامة، لكن المعية الخاصة.

﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِي عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كُنْتُمْ أَعْلَمُونَ﴾ (19)

[سورة الأفعال]

﴿الشُّهُرُ الْحَرَامُ بِالشُّهُرِ الْحَرَامِ قِصَاصٌ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (194)

[سورة البقرة]

وإن الله مع الصادقين، ما هذه المعية الخاصة؟ قال: هذه المعية معية النصر، والحفظ، والعون، والتوفيق، إذا كان الله معك أنت بتوفيق الله، وبحفظ الله، ويعون الله، ويرعاية الله، إذا كان الله فمّن عليك؟ وإذا كان عليك فمّن معك؟

الله عز وجل يدافع عن المؤمن وهو لا يدري :

إذ هذه الآية: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ السبب أنها جاءت بعد قوله تعالى:

﴿إِنْ تُصِيبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلٍ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ قَدْ خُورُوا﴾ (50)

[سورة التوبة]

رَدُّ عليهم يا محمد: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ من خير، من تكريم، من توفيق، من رزق، من محبة، من سكينّة.
﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا﴾ أحياناً الإنسان يكون قوياً وغنياً، قوياً يرعى يتيماً، قوياً له نفوذ بالبلد، ومسموع الكلمة، وأمره نافذ، وغني ميسور، وكفل يتيماً، هل يجوع هذا اليتيم؟ هل يعرى؟ هل ينال أحد منه؟ يقول لك: أنا فلان يدافع عني، وحتى الإنسان لو وكل محامياً لامعاً بقضية بنام مطمئناً، يقول: المحامي فلان سيدافع عني، فإذا كان خالق السموات والأرض هو الذي يدافع عنك، والدليل:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّارٍ كُفُورٍ﴾ (38)

[سورة الحج]

الله يدافع عنك وأنت لا تدري.

((أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إلي بشبر تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة.))

[رواه البخاري ومسلم]

من كان في طاعة الله وقلبه وحفظه وأكرمه :

أيها الإخوة، هذه الآية يجب أن تكون في صدوركم، وفي عقولكم، وفي خواتمكم: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ أنت مع من؟ تصور تصوراً غير معقول، أن طفلاً والده ملك، أو طفلاً والده قائد الجيش، وأقل رتبة عريف، هذا العريف هدد، فصار يبكي من شدة خوفه، معنى هذا أنه غبي، لأنه لم يعرف من هو والده، أقل رتبة بالجيش عريف، هذا العريف هدد هذا الطفل، أو هذا العنصر، وهذا العنصر والده قائد الجيش، فإذا خاف حقيقة يكون أحمقاً لا يعرف الله -عز وجل-.

أنا أريد أن يكون لك ثقة بالله، ثقة بمحبته لك، ثقة بنصره، ثقة بحفظه، ثقة بتوفيقه، أنت مع خالق السموات والأرض، ولست مع جهة أرضية قد تنسلك أحياناً، رواية لا تعد في الصحاح: سيدنا نوح قبل أن يأتي الطوفان جاءته امرأة ورجته ألا ينساها من تأمين مكان في السفينة، جاء الطوفان، وهو على السفينة وفي الأمواج الكبيرة تذكر هذه المرأة، ونسي أن يدعوها إلى السفينة، فتألم أشد الألم، فلما انتهى الطوفان، واستوت السفينة على الجودي، جاءت هذه المرأة وقالت له: يا نوح متى الطوفان؟ إن نسي سيدنا نوح فأنه لا ينسى. إذا كنت مع الله كان الله معك، إن كنت في طاعته الله يوفقك، يحفظك، بكرمك.

﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ احفظوا هذه ﴿لَنْ يُصِيبَنَا﴾ لن: تفيد تأييد المستقبل، نفي مؤبد:

﴿لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

الاستقامة على أمر الله تولد الأمن والطمانينة :

إخواننا الكرام، إن أردت حالة لا يتمتع بها إلا المؤمن حصراً هي نعمة الأمن فاستقم على أمر الله، والله -عز وجل- يقول: ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ وفي اللغة العربية فرق كبير بين أولئك الأمن لهم، أو ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ﴾ إذا قدمت الخير على المبتدأ الذي هو شبه جملة معنى ذلك أن التركيب فيه قصر وحصار، الأمن لهم ولغيرهم، أما ﴿لَهُمُ الْأَمْنُ﴾ وحدهم.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ (5)

حصر، ما نعبد إياك، ونعبد غيرك، عندما تقدم شبه الجملة في التركيب الاسمي الجملة تعطي معنى القصر والحصر **﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾**.
﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ إذا كان الله - عز وجل - وليك، هل تخشى من أحد؟ هل تخاف من أحد؟ إذا كان الله معك فمن عليك؟ وإذا كان عليك فمن معك؟.

أطع أمرنا نرفع لأجلك حجبتنا فإنا منحنا بالرضا من أحيينا
 ولذبحمانا واحتجبتنا بنا لنحميك مما فيه أشرار خلقنا
 وعن ذكرنا لا يشغلك شاغل وأخلص لنا تلقى المسرة والهناء
 وسلم إلينا الأمر في كل ما يكن فما القرب والإبعاد إلا بأمرنا

المؤمن الذي اصطاح مع الله واستقام على أمره يرى إكراماً وتوفيقاً ما بعده توفيق :

أيها الإخوة، هذه الآية يجب أن تكون في أذهانكم دائماً، وفي قلوبكم، وأنها بشاره كبيرة لمن استقام على أمر الله: **﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾** صدقوا ولا ابالغ أنت حينما تصطاح مع الله، وتستقيم على أمره، والله ترى العجب العجيب، ترى لطف الله، ترى رحمة الله، ترى عناية الله، ترى توفيق الله، ترى نصر الله، ترى إكرام الله، حينما تصطاح مع الله، وتستقيم على أمره، والله ترى أشياء لا تصدق، وهذه لكل مؤمن اصطاح مع الله، واستقام على أمره، يرى إكراماً ما بعده إكرام، وتوفيقاً ما بعده توفيق، وتيسيراً ما بعده تيسير، وراحة نفسية ما بعدها راحة، وسعادة، وسكينة، ورضا، وتألماً، وثقة بالله - عز وجل - : **﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا﴾**.

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ ^{أو لئلك أصحاب النار لهم فيها خالدون}

(257)

للتقريب: أحياناً يكون الأب قوياً، وغنياً، وأخلاقياً، ودينياً، وعنده ابن، هذا الابن لا يمكن أن ينبس ببنت شفة، بكلمة بذينة، التريبة عالية جداً، مجتهد، وأنيق، وأحياناً يكون الابن انعكاساً لو الده، فإذا كان الله - عز وجل - **﴿وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾** أي هو وليك بشؤونك، ببيبتك، بأسرتك، بمن حولك، بعملك، باختصاصك، بصحتك **﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾**.

على الإنسان أن يأخذ بالأسباب وكأنها كل شيء ثم يتوكل على الله وكأنها ليست بشيء :

﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ لكن التوكل يحتاج إلى شيتين، إلى استقامة، وإلى أخذ بالأسباب، من ادعى أنه توكل على الله ولم يأخذ بالأسباب هذا التوكل مرفوض، ومن أخذ بالأسباب واعتمد عليها ولم يتوكل على الله هذا الأخذ بالأسباب مرفوض، والواقع أن العالم الغربي أخذ بالأسباب بأعلى درجة، واعتمد عليها، وألهاها، ونسي الله، والعالم الإسلامي المتخلف لم يأخذ بها أصلاً، العالم الغربي وقع في الشرك، والعالم الإسلامي وقع في المعصية، الصواب ينبغي أن تأخذ بالأسباب وكأنها كل شيء، وأن تتوكل على الله وكأنها ليست بشيء.

للتقريب: عندك سفرة إلى مدينة في الشمال بمركبتك، تراجع المركبة، تراجع المحرك، تراجع كل شيء فيها مراجعة دقيقة، ومع كل هذه المراجعة أنت موقن بيقيناً قطعياً أن المسلم هو الله، لذلك أخذت بالأسباب رجعت المركبة، ثم توكلت على الله، أما لو أنك توكلت ولم تأخذ بالأسباب فهذا التوكل مرفوض.

سيدنا عمر رأى أناساً في الحج يتكفون الناس قال: من أنتم؟ قالوا: نحن المتوكلون، قال: كذبتم، المتوكل من ألقى حبة في الأرض ثم توكل على الله.

ملخص الملخص ينبغي أن تأخذ بالأسباب وكأنها كل شيء، ثم تتوكل على الله وكأنها ليست بشيء. هذا كله في قوله تعالى: **﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا﴾** لأن الله يقول: **﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾** **﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾** والتوكل: أن تأخذ بالأسباب أولاً، ثم تتوجه إلى الله ثانياً، إحدى الحالتين سهلة، ألا تأخذ بالأسباب كحال المسلمين اليوم، والله سينصرنا إن شاء الله، فإن لم تأخذ بالأسباب - بأسباب القوة - إن لم يحب بعضنا بعضاً، إن لم نتفان في خدمة هذه الأمة، هناك أشياء يجب أن تأخذ بها أولاً حتى يُسمع دعاؤنا، إن لم تأخذ بالأسباب لا نحقق ما نتمنى، وإذا أخذنا بها، واعتمدنا عليها، لا نحقق ما نتمنى، وأوضح شاهد النبي - عليه الصلاة والسلام - أخذ بالأسباب في الهجرة، ما من ثغرة إلا أغلقها، ما من جزئية إلا حققها، وبعد أن أخذ بكل هذه الأسباب، ووصل المشركون إلى غار ثور، قال الصديق:

((لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه. فقال: يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟))

هذا درس بليغ يحتاجه المسلمون، أن تأخذ بالأسباب، أنت طالب تدرس وبعد الدراسة يارب أنت الموقن، أنت تاجر تشتري صفقة بدراسة جيدة، النوعية، المصدر، الأسعار،

المنافسة، وبعد ذلك يارب تجبر، كل إنسان يأخذ بالأسباب بدقة بالغة، ويعتمد على الله لا عليها، يكون قد حقق شرطي النجاح في كل شيء، هذا كلام لكل أخ موجود، للطالب، للتاجر، للموظف، للمزارع، خذ بالأسباب ثم توكل على رب الأرباب: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

التوكل والتوكل :

شيء قليل أن يكون الله - عز وجل - مولاك؟ يدافع عنك، يحميك، يوفقك، ينصرك، والتمن سهل، التمن طاعته فقط. أحياناً هناك ملك بالظاهر بيده كل شيء، لكن مستحيل أن تصل إليه، لكن الله ليس بينك وبينه حجاب إطلاقاً، تقول: يارب! يقول لك: لبيك يا عبيدي، ياربي تبت إليك، يا عبيدي وأنا قبلت، الصلحة بلحمة، والأمر بيدك، لذلك الآية الأولى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ إذاً يجب أن نفرق بين التوكل وبين التوكل، التوكل: أن تأخذ بالأسباب وكأنها كل شيء، ثم تتوكل على الله وكأنها ليست بشيء، أما التوكل: فإما أن تأخذ بالأسباب ثم تعتمد عليها، أو ألا تأخذ بالأسباب وتتوكل أنك تعتمد على الله، وكلا الطرفين خاطئ: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ (52) ﴾

[سورة التوبة]

ماذا ينتظر المؤمن؟ إما استشهاد في سبيل الله- الشهيد إلى الجنة- أو انتصار، الاستشهاد حسنى، والانتصار حسنى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ﴾ شيء رائع جداً، ونحن والفضل لله عز وجل، نعيش، فالمؤمن إن أصيب -لا سمح الله- بمرض عضال أنهى حياته، إلى أين يذهب؟ إلى الجنة بإذن الله.

﴿ وَلَئِنْ مِتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تَحْشُرُونَ (158) ﴾

[سورة آل عمران]

إذا ألقينا القبض على إنسان وسقناه إلى أمه، الأم كلها رحمة.

الخلق كلهم عند الله سواسية ليس بينه وبينهم قرابة إلا طاعتهم له :

أيها الإخوة، يجب أن تثق بالله، وإذا كنت في طاعته يجب أن تثق بنصر الله، يجب أن تثق بتوفيق الله، يجب أن تثق بهذا النصر الدقيق جداً. سيدنا سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه-، هو في الحقيقة خال رسول الله، وما كان النبي يداعب أحداً إلا خاله، إذا دخل سعد يقول: هذا خالي أروني خالاً مثل خالي، وما فتى النبي أحداً إلا سعد بن أبي وقاص، قال:

﴿ اُرْمِ، فداك أبي وأمي ﴾

[أخرجه البخاري ومسلم عن سعد بن أبي وقاص]

وعندما توفي النبي -عليه الصلاة والسلام-، لسيدنا عمر كلمة رائعة جداً، قال: يا سعد لا يعزُّك أنه قد قيل خال رسول الله، فالخلق كلهم عند الله سواسية، ليس بينه وبينهم قرابة إلا طاعتهم له، لذلك:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (13) ﴾

[سورة الحجرات]

للتقريب: نحن أمة عربية، أبو لهب أحد صناديد قريش، وعربي فُح، ومن أرومة عربية، وأصيل:

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (1) ﴾

[سورة المدد]

هل نفعتة عربته؟ سلمان الفارسي ليس عربياً، من بلاد فارس.

((سلمان منا أهل البيت))

[أخرجه الحاكم عن مصعب بن عبد الله الزبيرى وهو ضعيف]

صهيب رومي من بلاد الروم، هذا الدين، سيدنا الصديق رأى بلالاً يُعذَّب، بلال حبشي يعذبه سيده صفوان بن أمية، فاشتراه منه بمئة دينار، بعد أن اشتراه منه، صفوان أراد أن يهين بلالاً، قال: والله لو دفعت به درهماً لبعته، ليس مئة درهم، ولا مئة دينار، أبيع به درهم، لأنه لا قيمة له عندي، فردَّ عليه سيدنا الصديق، قال له: والله لو طلبت به مئة ألف لأعطيته، الشاهد: بعد أن اشتراه وأطلقه لوجه الله، وضع الصديق يده تحت إبط بلال، وقال: هذا أخي حقاً، وما ذكر الصحابة الصديق إلا وذكروا معه بلالاً، يقولون: هو سيدنا وأعتق سيدنا، سيد الصحابة هو سيدنا وأعتق سيدنا، هذا الدين لا يوجد به تفرقة: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ﴾.

الأمة لا ترقى إلا عندما تعتمد على مقياسي العلم والعمل :

لذلك الأمة حينما تعتمد مقياسي العلم والعمل ترقى، إذا اعتمدت مقياسي انتمائية لا ترقى، هناك مقياس موضوعي؛ العلم والعمل، أنت مدير دائرة، يوجد عندك وظيفة حساسة جداً، وهناك إنسان كفاء لها، ويحمل أعلى شهادة، إذا عينت هذا الإنسان الكفاء تحقق نتائج كبيرة جداً، تنفع الأمة، لك قريب شبه جاهل، عينته بهذا المنصب مكان الخبير و هو ليس كفاءً، أنت ماذا فعلت؟ أنت اعتمدت مقياساً انتمائياً على مقياس موضوعي.

لذلك مثل هذا المجتمع لا يتماسك، ولا يرقى، أية أمة تعتمد مقياساً موضوعياً لا انتمائياً ترقى، وأية أمة تعتمد مقياساً انتمائياً لا موضوعياً لا ترقى.

لذلك اشتراه، ووضع يده تحت إبطه، وقال: هذا أخي حقاً.

في بعض الروايات أن أبا سفيان أراد أن يدخل على عمر بن الخطاب، يبدو أن عنده أعمالاً كثيرة جداً، وقف ببابه مدة طويلة- وأبو سفيان زعيم قريش من المع الأسماء- وعندما دخل عليه عاتبه قال له: زعيم قريش يقف ببابك طويلاً وصهيب وبلال يدخلان ويخرجان بلا استئذان؟ قال له: أنت مثلهما؟ هناك فرق كبير جداً.

أنا ألح على المقاييس الموضوعية لا الانتمائية، حينما تعتمد مقياساً انتمائياً هذا المقياس يمشي بالأمة إلى طريق الهلاك.

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ﴾ أي أنت أيها المؤمن ماذا تنتظر؟ توفيق الله بالدنيا، صحة طيبة إن شاء الله، زوجة سالحة، أولاد أبرار، مكانة اجتماعية، سمعة طيبة، مات للجنة، ماذا يوجد أمامك؟ إنسان مات مؤمناً، مات مستقيماً، مات تائباً، مات مصطحاً مع الله، إن عاش عاش سعيداً، وإن مات مات حميداً:

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْأَجْرَةُ نُجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (83)

[سورة الفصم]

من ينهض بأمتة فإله عز وجل سينصره لا محالة :

إخواننا الكرام، كي تستبشروا، الله - عز وجل - قال: -وكلام الله وأنا أقول زوال الكون أهون على الله من ألا يحقق وعوده للمؤمنين- قال:

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْتٌ وَلَٰكِن سَعْتُهُمْ لَا تُبَلِّغُهُمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيُسْأَلُونَ عَنْ سَعْيِهِمْ﴾ (12)

[سورة آل عمران]

الله أعطاك النتيجة **﴿سَعْتُهُمْ﴾** أعطاك النتيجة الحتمية **﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْتٌ﴾** فأنت إذا نهضت بأمتك يجب أن تعتقد يقيناً أن الله سينصرك، أنا أتمنى أن يكون انتماء الإنسان للمجموع، أنت من أمة تحتاج إلى خبراء، إذا ابتغيت بدر استك خدمة هذه الأمة فأنت في جهاد، إذا ابتغيت من كل شيء خدمة هذه الأمة فأنت في جهاد، أحياناً تختار اختصاصاً نادراً، أنا سافرت إلى بلاد بعيدة ووجدت بولاية واحدة خمسة آلاف طبيب من بلد عربي واحد، خمسة آلاف طبيب معهم بورد من بلد عربي واحد بولاية واحدة، بولاية واحدة بأمر يكا فيها خمسة آلاف طبيب من دولة عربية في أمس الحاجة إلى هؤلاء الأطباء، بلاد غنية جميلة، فيها ميزات كثيرة جداً، فأثر البقاء في هذه البلاد على العودة إلى بلده.

مرة لمحت طبيباً يحمل شهادة بورد، ويجري عملية في مستشفى وطني متواضع جداً، هذا جاء إلى بلده كي يخدم أمته، هناك تعبير دمشقي يقول: " لحم كتافي من خير هالأمة" أنا والله العبد الفقير شجعت الإخوان المؤمنين المتفوقين على الدراسة في بلاد الغرب، ودرسوا، عندي يقين بالمئة مليون لا بد من أن يرجعوا جميعاً إلى بلادهم، لماذا؟ لخدمة أمتهم، لماذا؟ لأنهم يحملون رسالة، هناك رسالة يحملها، بلاده نامية وفيها متاعب كثيرة، لكن هو يحمل رسالة، يعود لبلده، ليخدم بلده المتفوق أمته، بين إنسان حامل رسالة وبين إنسان مرتزق مسافة كبيرة جداً.

قصة من أربعين سنة تم إعدام عالم كبير في بلد عربي، ظروف استثنائية صعبة فجازوا له بشيخ ليلقنه الشهادة، قال له: أنت أيها الملؤن ترزق بلا إله إلا الله، أما أنا فأموت من أجلها.

فرق كبير بين إنسان يحمل رسالة وإنسان يرتزق ببعض الأفكار الدينية.

يا أيها الإخوة، عندما تحمل رسالة تكون أسعد الناس، وإن لم تقل: أنا أسعد الناس، أسعد من في الأرض إلا أن يكون أحد أتقى مني فهناك مشكلة بعلاقتك بالله - عز وجل -.

أيها الإخوة، آيات اليوم:

﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ * قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾ .

والحمد لله رب العالمين